كلية : الاداب

القسم او الفرع : الاجتماع

المرحلة: الرابعة

أستاذ المادة : ا.د جمعة ابراهيم حسين

اسم المادة باللغة العربية : علم الاجتماع السياسي

اسم المادة باللغة الإنكليزية : political sociology

اسم المحاضرة الرابعة باللغة العربيةاتجاهات نظرية في العصور القديمة

اسم المحاضرةالرابعة باللغة الإنكليزية : theoretical trends of old ages

أولا : الاتجاهات النظرية في العصور القديمة :

عند دراستنا وتحليلنا للظواهر السياسية بصفة خاصة ، و للظواهر الاجتماعية بصفة عامة ، فإن تلك الدراسة و ذلك التحليل لا يستقيمان إلا إذا ما أخذنا في الاعتبارموضوعين أساسين ، أولهما : هو الرجوع إل ا لل جهود العلمية والفكرية الجب ّارة ، الناتجة عن جهود العديد من المفكرين والفلاسفة في العصور القديمة ، التي سبقت نشأة الدولة بمفهومها الحديث ، أما الموضوع الثاني : فيتمثل في بروز بعض الفلاسفة والمفكرين كرواد في هذا المجال ، لهم توجهاتهم الفكرية التي برزت من خلال الواقع المعاش في مجتمعاتهم ، ولا تزال صالحة للقياس عليها عند معالجة بعض القضايا الأساسية التي يتناولها العلم في عصرنا الراهن .

الفكر السياسي الإغريقي القديم : ٠

فإذا ما نظرنا إلى الفكر السياسي الإغريقي (اليوناني) القديم ، فإننا نلاحظ أهمية الأفكار والتو جهات النظرية لبعض الفلاسفة الذين برزوا في ذلك العصر، ومن أهمهم إفلاطون ، الذي مزجت فلسفته السياسية بين الواقعية والمثالية ، حيث نجد ذلك في مؤلفاته ، أو محاوراته السياسية التي برزت ، مثل (الجمهورية) التي رسم فيها الخطوط الرئيسة للمدينة الفاضلة ، كما أن تحليلاته السياسية في مؤلفيه (السياسي) أو (رجل الدولة) ، و(القوانين) ، محاولة جمع فيها نظريته السياسية والأخلاقية والقانونية والفلسفية ، فعكست محاولاته طبيعة نظام الدولة دولة المدينة باعتبارها الوحدة السياسية الرئيسة ، كما أن تحليلات إفلاطون عن الطبقات الاجتماعية ، خلقت معادلة اجتماعية واقتصادية ونفسية ، حيث ربط بين الحاجة والطبقة والنفس ، مركزا على البناء الاجتماعي الذي يقوم على أساس طبقي لغرض العمل على إشباع حاجات مجتمع المدينة وتحقيق ذاتية كل طبقة .

إن جوهر أفكار إفلاطون ، هو محاولته تجاوز الواقع المرير الذي يعصف بالمجتمع اليوناني من مشكلات وصعوبات ، والبحث عن مجتمع يخلو من كل المظاهر والظواهر الاجتماعية السلبية ، من هنا جاء كتابه (الجمهورية) ، الذي طرح من خلاله مجتمع

المدينة الفاضلة ، تلك المدينة التي تقوم على الفضيلة والعدالة ، والحكم الصالح الذي تتحقق في ظله هذه القيم المعنوية العظيمة ، وعلى عكس ما يراه السفسطائيون بأن العدالة هي (مصلحة الأقوى) أو (فعل ما هو في مصلحة الأقوى) فإن إفلاطون يرى أنالعدالة (فضيلة عامة وخاصة) ، فالفرد العادل لا يمكن أن يعيش إلا في دولة عادلة ،

.(والفرد الفاضل لا يمكن أن يعيش إلا في دولة فاضلة(١

إذن فإن أبرز أفكار إفلاطون ، التي يرى أنه من شأنها تأسيس المدينة الفاضلة التي تناولها في كتابه (الجمهورية) ، تتمثل في أن الفضيلة هي المعرفة ، والتخصص وتقسيم العمل ، والفئات والطبقات الاجتماعية ، والأنفس ، والعدالة ، والتربية والتعليم ، والرأي العام ، ونظم الحكم ، وعلى هذا الأساس ظهرت طبقات اجتماعية هي(٢ :(

أ الحكام : وهم يمثلون رأس المجتمع أو عقل المجتمع ، ويكون أفراد هذه الطبقة من الفلاسفة والحكماء الذين ينبغي أن تتوفر لديهم الحكمة والشجاعة والعدالة ، وبالتالي فإنهم مؤهلين لممارسة الحكم ، وكان إفلاطون يعتقد أن واجب الحاكم هو أن يحمل الناس على طاعة القوانين بقوتي : الاحترام وهو عن طريق المعرفة ، والخوف وهو بطريقة قوة الحاكم ، ويرمز لهذه الطبقة بالذهب .

ب الجند : ويمثلون قلب المجتمع ، وأفراد هذه الطبقة لهم امتيازات وحقوق وواجبات تتمثل في أحقيتهم بالحكم ، ولكن تحت رقابة وتوجيه ، أما وظيفة هذه الطبقة فهي الدفاع وحماية الدولة داخليا وخارجيا ، حيث تتوفر فيهم ، حسب رأي إفلاطون ، النزعة الغضبية أو الشجاعة ، كما يجب أن يتدربو ا عليها ، وكذلك على عدم الخوف من الموت ، والاعتدال في الأكل والشرب والحب ، ويرمز لهذه الطبقة بالفضة .

ج العمال أو المنتجين : وهم يمثلون الشهوة أو بطن المجتمع ، وهم يتولون مهمة العملية الإنتاجية (زراعية ، حرفية ، تجارية ... الخ) ، وتحتل هذه الطبقة المكانة الدنيا بين طبقات المجتمع ، وقد رمز لها بالحديد أو النحاس .

تأسيسا على ذلك ، فإن إفلاطون يعد بحق (أبو الفلسفة السياسية) ، حيث أثرى الفكر السياسي بمساهماته التي تركت بصماتها على جهود العلماء الفكرية ، وتحليلاتهم السياسية ، رغم ما يؤخذ عليه من محدودية أفكاره التي جاءت انعكاسا لدول المدينة في عصره ، وتأثره بالوضع السائد ، ويمكن أن نوجز مساهمات إفلاطون في الفكر السياسي

بالآتي :

o من أهم أفكار إفلاطون الخالدة فكرة أرستقراطية المثقفين ، بمعنى أن السلطة السياسية يجب أن لا تعطى للأغنى أو الأقوى أو للأكثر عراقة ، ولكن يجب أن تعطى للأكثر تعليما ومعرفة ، وهو ما يعد من الأفكار التي مازالت قائمة في العصر الحالي ، حيث أن التعليم شرط أساس للنخبة الحاكمة .

o كما أن أفكاره في ديمقراطية التعليم والمساواة المطلقة في تكافؤ الف ر ص ، تعد من الأفكار الخالدة ، حيث نادى بجعل الدولة مؤسسة تعليمية ، بإيجاد نظام للتعليم العام تعطى فيه الفرصة لكافة أبناء الشعب وطبقاته ، بصرف النظر عن الوضع الاجتماعي أو الجنس .

o وكانت له أفكاره وآراءه في تدهور الحكومات وميلها للانهيار إلى الأسوأ ، نتيجة لتغلب نزعات أدنى عند الحكام (١).

o كان إفلاطون أول من قال بأن المجتمع مكون من أنظمة متصلة الواحدة بالأخرى ، وهذه الأنظمة هي النظام السياسي ، والنظام الأسرى ، والنظام الديني ، والنظام الاقتصادي ، كما أنه يعتقد بأن أي تغيير يطرأ على أحد هذه الأنظمة لابد أن ينعكس على بقية أنظمة المجتمع .

o وضح إفلاطون العلاقة بين الفرد والدولة ، بقوله أن رئيس الدولة الذي ينبغي أن يكون خبيرا بالفلسفة ، يجب أن يضحي بنفسه من أجل خدمة المجموع ، كما يعتقد بأن الجماعة أهم من الفرد ، لذلك ينبغي على الفرد التضحية من أجل تحقيق طموحاتها وأهدافها ، لذا يعده المتخصصين من أول زعماء الاشتراكية و المبشرين بها . كما يعتقد بأن العدالة لا يمكن أن تتحقق في المجتمع دون اعتماده على مبدأ تقسيم

o العمل والتخصص فيه، إذ أن كل فرد من أفر اد الطبقات الثلاث يجب أن يؤدي العمل المؤهل له من الناحية الور اثية ، كما ينبغي على كل طبقة القيام بعملها الخاص دون تدخلها بمهام ومسؤوليات الطبقات الأخرى ، مما جعل تقسيمه للطبقات الثلاث في المجتمع تقسيما صارما لا يجب على أي فرد الخروج عنه.

الفكر السياسي المسيحي : ٠

كذلك فإن الفكر السياسي المسيحي يمكن تصنيفه في إطار النظرية السياسية

الأخلاقية ، التي يؤكد روادها على ضرورة الربط بين السياسة والأخلاق ، انطلاقا من الموجهات الدينية والثقافية والاجتماعية التي مرت بها مجتمعات العصور القديمة والوسطى بصورة خاصة ، مثله في ذلك مثل الفكر السياسي الإغريقي ، ويظهر هذا جليا عندما ١٢٧٤ ، الذي يعده بعض – نتناول الفكر السياسي عند " توما الاكو يني " ١٢٢٥ مؤرخي الفكر السياسي خلال العصور الوسطى المسيحية ، من أهم المفكرين الذين تناولوا أرسطو ونظريته السياسية بالشرح والتحليل ، خلال القرن الثالث عشر الميلادي ، لقد تناول " الاكويني " الأفكار والقضايا السياسية التي أهتم بها أرسطو بصورة عامة ، فظهر ذلك في أفكاره ونظريته عن الدولة والقوانين على سبيل المثال ، فحرص أن يخضع الجميع لطبيعة السلطة القانونية ما جعله يربط عموما بين السلطة أو نظام الحكم والنظام القانوني(١) .

لذا فإن أفكاره كانت تنطوي على أهم الأفكار السياسية التي دارت في العصور الوسطى ، حول العلاقة بين السلطتين الروحية والزمنية ، وحيث كانت تتفاوت شدة هذه الأفكار تبعا لقوة الخلاف بين هاتين السلطتين ، أي بين البابا الذي يمثل السلطة الأولى ، والملوك والحكام الذين يمثلون السلطة الثانية ، ويرى " الاكويني " أن الإنسان هو أقرب المخلوقات لله لأنه يتكون من بدن وروح ، أما المجتمع بشكله الطبيعي فله غاياته وأهدافه ، ويقوم على تبادل الخدمات والمنافع من أجل الحياة الطيبة ، إذن فهو يحتاج إلى هيئة حاكمة تسى ر شئونه ، وعلى ذلك فإن الحكم أمانة في عنق الجماعة كلها ، وسلطة الحاكم مستمدة من الله بقصد تنظيم حياة سعيدة للبشر ، غير أن السلطة يجب أن تكون محدودة ، وأن تسير أعمالها وفقا للقانون(١) .

و قد تناول كتاب الاكويني (حكومة الأمراء) ، توجهاته النظرية التي تجسد فكره الاجتماعي السياسي ، الذي عكس مرحلة احتدام الصراع الضيق بين البابوية والأباطرة، عاكسا أيضا لتأثره الواضح بأفكار أرسطو ، فأكد الاكويني على أهمية القانون في تنظيم شئون المجتمع ، وأهميته في تبرير شرعية وجود السلطة السياسية في إطار من التحليلات الأخلاقية ، وحيث أنه كان يؤكد على أن لا وجود لسلطة سياسية بدون قانون ، فإنه انتقد كثيرا نظام الحكم الاستبدادي ، بل وحث الجماهير على ضرورة مقاومة هذا النوع من الحكم ، على أن تكون المقاومة في إطار شرطين أساسيين هما : أن تكون المقاومة حق

مكفول لكل أفراد الشعب ، وأن يحرص الشعب على أن تكون مقاومته إيجابية بحيث تؤدي إلى ظهور نظام حكم جيد ، وهذا ما نجده يظهر في تحليلات علماء الاجتماع السياسي عند دراستهم للحركات الاجتماعية والتحررية كقضايا مهمة في العصر الحديث .

إن اهتمام الاكويني الكبير بالقانون كعامل مهم وضروري لتنظيم العلاقة بين الفرد والمجتمع ، وبين الحاكم والمحكوم ، جعله يبحث عن الأدلة التي تبرر العلاقة الوثيقة بين القانون السماوي والقانون الإنساني ، حيث كان يعتبر القانون جزء من نظام الحكم الإلهي الذي يسيطر على كل شيء في السماء والأرض ، واهتمامه بالقانون كجزء مهم من نظريته السياسية جعله يدرسه دراسة وافية ، مقسما القانون لأربعة أقسام هي :

١- القانون الأزلي ، الذي يطابق التدبير الإلهي مطابقة عملية ، وهو الحكمة الإلهية التي تنظم الخليقة كلها ، وبذلك يسمو على الطبيعة البشرية ويعلو فوق فهم الإنسان ، مع أنه ليس غريبا عن إدراكه أو مضادا لفهمه .

٢- . القانون الطبيعي ، الذي يمكن فهمه على أنه انعكاس للحكمة الإلهية في المخلوقات، ويتجلى ذلك في رغبة الإنسان في فعل الخير والحياة الطبيعية ، وقدرته على الإدراك والسعي من أجل الطمأنينة والاستقرار النفسي.

٣- القانون الإلهي ، أو القانو ن المقدس ، و هو الوحي أو التبليغ الذي جاء عن طريق الكتب المقدسة ، ويقوم رجال الدين بنشره بين الناس .

٤- القانون الإنساني ، حيث يرى الأكويني بأن تطبيق القوانين الثلاثة الأولى تطبيقا كاملا على البشر كان أمرا متعذرا ، لذلك هناك قانونا وضع خصيصا ليلائم الإنسان ،

كما أن مصدره إنساني خالص ، وهو تطبيق للمبادئ العظمى لنظام سائد من قبل في العالم ، يتسم بالخصوصية ، أي أنه ينظم حياة الجنس البشرى دون سائر المخلوقات ، كما أنه ناتج عن جهود الناس جميعا من خلال تفاعلهم من أجل المصلحة العامة ، نابع من عقول،ه م وعر فه بأنه : شريعة تستهدف الخير العام ، أملاها العقل ، وصاغها من يرعى شئون الجماعة ، ثم أ شهر ت .

الفكر السياسي الإسلامي : ٠

أما إسهامات المفكرين السياسيين الإسلاميين فقد كانت منبعا خصبا أدى إلى تطور وازدهار العلوم السياسية والاجتماعية بوجه عام ، يأتي في مقدمتهم ابن خلدون ، و ابن

الأزرق ، والفارابي ، والكثيرين غيرهم .

لقد ساهم " ابن الأزرق " والمعروف بأبي عبدا لله محمد بن الأزرق الذي توفى سنة ١٤٩١ ، مساهمة فعالة في التأسيس لعلم الاجتماع السياسي ، خاصة في كتابه (بدائع السلك في طبائع الملك)، الذي يعده البعض محاولة جديدة لتنظيم أفكار ابن خلدون في مجال الميدان السياسي والاجتماعي ، حيث ركز على دراسة عدد من الظواهر السياسية ، مثل السلوك السياسي للحكام والمحكومين ، ونظام الدولة ، وأنماط الحكم السياسي في المجتمعات البدوية والحضرية ، كما ناقش أشكال الخلافة والعوائق التي تواجه الملك والخلافة ، وغير ذلك من الموضوعات ذات العلاقة ، التي يعدها المتخصصو ن من أهم التحليلات في دراسة أنماط السلوك السياسي Political Behavior .

٤٠

إن كتاب ابن الأزرق ، الذي قسمه إلى مقدمتين وأربعة كتب ، يعد بلغة علم